حسن فهو حسن والا فهو قبيح فانا اذا وعدنا عبيدنا بالاعتاق والانعام بفعل يورث
مشقة عظيمة عليهم وبالسياسة لتركه ففعله بعضهم على ما اردناه وتركه بعضهم اشتغالا
بما يلتذ به مما كنا نمنعهم عنه ثم اعتقنا العاصي وانعمنا عليه وعاقبنا المطيع المتحمل
للمشقة انقيادا لامرنا لحكم العقلاء بظلمنا البتة بخلاف ما لو اعتقنا بعض عبيدنا
ابتداء وامرنا بعضا آخر بخدمة شاقة لا يتجاوز طاقته فانه لا يعد ظلما والالزام على
الاشاعرة نظير الاول دون الثاني وظاهر انه لو لم يجب استقلال العبد في فعله
لزم رفع فايدة البعثة ويصح السوال لكونه ظلما على التحقيق الخامس ان ما ذكره من
ان التكليف والتاديب والبعثة والدعوة قد تكون دواعي العبد الى الفعل آه مدخول
بان الانسان مجبول على الفعل سواء بعث اليه نبي اولا فلا حاجة لهم في اصل
الفعل الى بعث النبي الداعي لهم الى ذلك كما لا يخفى ثم ما ذكره الناصب من الالزام
غير لازم لما مر من ان علمه تع تابع للمعلوم لا علة له فتذكر على انه لو تم لزم ان يكون
افعاله تع ايضا اضطرارية لجريانه فيه بعينه فما لم يلزمنا في مسئلة علم الله تع لزمكم في
مسئلة خلقه تع للاعمال المعللة بعلمه على ما زعمتموه فتدبر قال المص رفع الله
درجته ومنها انه يلزم ان يكون الله تع اظلم الظالمين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
لانه اذا خلق فينا المعصية ولم يكن لنا فيها اثر البتة ثم عذبنا عليها وعاقبنا
على صدورها منه تع كان ذلك نهاية الجور والعدوان نعوذ بالله من مذهب
يودي الى وصف الله تع بالظلم والعدوان فاي عادل سوى الله تع واي منصف
سواه واي منصف راحم للعبد غيره واي مجمع للكرم والرحمة والانصاف مع
انه يعذبنا على فعل صدر عنه ومعصية لم تصدر عنا بل منه انتهى قال الناصب
خفضه الله اقول نعوذ بالله من نسبة الظلم والعدوان الى الله المنان وخلق المعصية
في العاصي لم يستوجب الظلم لان الظلم تصرف في حق الغير والله تع لا يظلم الناس
في كل تصرف يفعل فيهم وقد روي ان عمرو بن العاص سأل ابا موسى الاشعري رض
فقال يخلق في المعصية ثم يعذبني بها فقال ابو موسى لانه لم يظلمك وتوضيح
هذا المبحث ان النظام الكلي في خلق العالم يقتضي ان يكون فيه عاص ومطيع كالبيت
الذي يبنيه حكيم مهندس فانه يقتضي ان يكون فيه بيت الراحة ومحل الصلوة
وان لم يكن البيت مشتملا على المستراح كان ناقصا كذلك ان لم يكن في الوجود
عاص لم يكمل النظام الكلي ولم يملأ النار من العصاة وكما انه لا يستحسن ان يعترض
على المهندس انك لم عملت المستراح ولم تجعل البيت كله محل العبادة ومجلس الانس
كذلك لم يحسن ان يقال لخالق النظام الكلي لم خلقت العصاة ولم تجعل
العباد كلهم مطيعين لان النظام الكلي كان يقتضي وجود الفريقين [illegible] الذي
يفعل صاحب البيت في جعل بعضه مسجدا وبعضه مستراحا [illegible] هو ظلم

فلذلك

فكذلك تصرف الحق سبحانه في الموجود باي وجه يتفق لا يقال انه ظلم ولكن المعتزلي الاعمى
يحسب ان الخلق مختص به وهو مالك لنفسه والله ملك عليه لا يعلم انه مالك مطلق
الا ترى ان الرجل الذي يعمل عملا ويستاجر على العمل رجالا ويستعمل معهم بعض عبيده
الارقاء فاذا تم العمل اعطى الاجراء اجرتهم ولم يعط العبيد شيئا هل يقال انه ظلم العبيد
في ذلك لانه تصرف في حقه بما شاء ثم ان هذا الرجل لو حمل العبد فوق طاقته او
قطع عنه القوة واللباس يقال انه ظالم وذلك لانه تجاوز عن حد ما يملكه من العبد
وهو التصرف حسبما اذن الله تع فيه فاذا تجاوز من ذلك الحد فقد ظلم وذلك لانه
ليس بالمالك المطلق ولو كان هو المالك المطلق وكان له التصرف حيثما شاء
وكيفما اراد لكان كل تصرفاته عدلا لا جورا وظلما كذلك الحق سبحانه هو المالك
المطلق وله التصرف كيفما شاء وحيثما اراد فلا يتصور منه ظلم باي وجه تصرف
خذ هذا التحقيق ولا تعد عن هذا انتهى اقول تحقيق المسئلة على وجه يظهر
به تمويه استغاثة الناصب انه لا خلاف بين العلماء في انه تع عادل متفضل
محسن وانما الخلاف في معناه قالت الاشاعرة ان معنى قوله تع عادل انه متصرف
في ملكه لا في ملك غيره كما مر وقالت العدلية من الامامية والمعتزلة معناه انه يختار
الحسن ويخل بالقبيح لكن من المعلوم ان التصرف في الملك يمكن ان يكون
على الوجوه الحسنة وان يكون على الوجوه القبيحة ولا ريب في ان التصرف على الوجوه
القبيحة ظلم وجور ليس بظلم بعدل فالقايلون بان لا موثر الا الله مع الاعتراف
بحدوث الظلم في جاحدون لكونه تع عادلا في المعنى لان فاعل الظلم والجور لا يكون
عادلا واما القايلون بان العبيد يحدثون لتصرفاتهم فهم ينسبون الظلم الى انفسهم
وينزهون الله تع عما يقولون ويفترون وجوابهم عما ذكره اهل العدل بانا لا نم
ان خالق الظلم والجور ليس بعادل فان خلق جميع الاشياء ليس بقبيح بالنسبة
اليه وانما يصير الاشياء قبيحا بالنسبة الى الخلايق وباعتبار قيامها بهم مكابرة
لسد باب المناظرة ثم ان الناصب لم يجعل عمرو بن العاص ههنا شريكا مع ابي موسى
في الدعاء برضاء الله تع لانه وافق مذهب اهل الاعتزال وغفل عن كونه من اعداء
امير المؤمنين عليه السلام والا لوجه اليه السلام والتحية ايضا واما ما ذكره من التمثيل بالبيت المشتمل على
كنيف كيت فانما تمثل به العلامة الدواني في بعض رسايله لبيان القول بالاصلح
بنظام الكل على ما ذهب اليه الحكماء والامامية دون غيرهم من المعتزلة والاشاعرة
والماتريدية ولا مطابقة فيه لمذهب الاشاعرة كما توهمه الناصب فان ما اشتمل
عليه ذلك البيت من المستراح يظهر عند العقل السليم مدخلية في نظام مجموع البيت
اذ لولاه لتلوث جميع البيت وفزع اهله من الروايح المستقذرة بخلاف ما اشتمل
عليه العالم من الافعال المتنازع فيها كالزنا واللواطة والسرقة والكذب والنميمة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)